الجامعة المستنصرية

كلية التربية

قسم التاريخ

اثر المغاربة الفكري على بلاد الاندلس خلال عصري المرابطين والموحدين

بحث مقدم من قبل

م.م. امل اسماعيل حسن

كلية التربية/الجامعة المستنصرية

2019

الملخص :

حظيت الدراسات التي تتناول الأثر الفكري للأندلس على بلاد المغرب خلال عصري المرابطين والموحدين, اهتماماً واسعاً من لدن الباحثين والدارسين, وكتبت عن هذا الجانب, عشرات الكتب والمؤلفات والبحوث والرسائل والأطاريح الجامعية سواء داخل العراق أو خارجه, التي تناولته بإسهاب من زوايا متنوعة ومختلفة.

الا إن أثر المغاربة الفكري على بلاد الاندلس خلال العصرين المذكورين, لم يحظ بالاهتمام نفسه, بل تكاد تفتقر المكتبات لبحوث أو دراسات جامعية تناولت هذا الجانب رغم أهميته في تأريخ الفكر العربي الإسلامي، فلا أحد يستطيع أن يتغاضى او ينكر الاسهامات الفاعلة لعلماء وأدباء المغرب في مجالات الفنون والعلوم والميادين الاخرى والتي كان لها أثر فكري واضح على عموم الحياة الفكرية في أهم مدن الأندلس.

ولأهمية معرفة هذا الأثر والاطلاع عليه, وما بفرض ذلك من خلال استجلاء مكامنه ومجالات المعرفة, جاء بحثنا الموسوم (اثر المغاربة الفكري على بلاد الاندلس خلال عصري المرابطين والموحدين) وشمل الملامح العامة للحياة الفكرية في بلاد الاندلس في ظل عصري المرابطين ثم الموحدين إذ مسحنا بايجاز المناخات الفكرية التي كانت سائدة وأهم العلوم الرائجة هناك, ومدى تأثر هذه العلوم بالسياسات المعتمدة ازاءها أو إزاء بعضها بتعبير ادق والتي كانت تمارسها الدولة المرابطية ثم الموحدية. وتطرقنا فيه ايضاً الى ابرز وأهم العلماء والأدباء المغاربة مع ذكر بعض نتاجاتهم العلمية والفكرية, أو مزاولتهم لتدريس العلوم المختلفة في العديد من المدن المهمة في الأندلس.

شهد المغرب الاقصى خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين, مدة طويلة مزدهرة كانت بحق من أخصب مراحل هذا المغرب في العصور الوسطى, إذ نشأت على أرضه أضخم وأهم دولتين متعاقبتين عرفتها المنطقة, وهما دولتا المرابطين ثم الموحدين اللتين بسطتا نفوذهما على مناطق شاسعة في الشمال الأفريقي, فضلاً عن الإقليم المهم الاندلس[1].

وفي ظل هاتين الدولتين, نمت وترعرعت الحياة الفكرية في المغرب, واستمرت هذه الحياة في الاندلس التي كانت في الأصل, قد بلغت أوج ازدهارها في هذا الجانب رغم التمزق السياسي والاداري الذي كانت تعيشه في ظل عصر الطوائف (422-484هـ/1031-1091م).

وإذا كانت هذه النظرة, تشكل اهم[1] الملامح العامة للحياة الفكرية في الاندلس في عصري هاتين الدولتين, الا ان الاختلاف العقائدي بينهما وما أنتج من سياسات ومواقف متقاطعة ازاء جوانب من هذه الحياة المزدهرة التي ورثاها من عصر الطوائف, قد جعل إحداها تعيش حياة فكرية راكدة نسبياً لاسيما في مراحلها الاولى, فيما ازدهرت ازدهار لافتاً للنظر عند الاخرى, مما أضاف ذلك كله ملمحاً جديدة على تلك الحياة[2].

ولكي نتبين هذا الاختلاف القائم بينهما ومدى تأثيره على بعض جوانب الحياة الفكرية في الاندلس, لابد من الوقوف على عدد من مظاهره التي تجلّت في سياسات ومواقف بعض الحاكمين في هذه الدولة أو تلك. فعلى الرغم من وجوه التشابه بين المرابطين والموحدين من حيث الانتماء العرقي الواحد أولاً, وقيام دولتيهما على أساس ديني ثانياً, وتبينها لفكرة الجهاد ضد الممالك الاسبانية النصرانية الزاحفة ثالثاً, الا ان هناك اختلافاً جذرياً بينهما تعود أُصوله الى مباني نظرياتها في العقيدة, ومن المعروف ان هذا الاختلاف تطور الى النزاع والاحتراب بينهما حتى اسقطت احدهما الاخرى فيما بعد[3].

ويهمنا هنا هو معرفة مدى تأثير هذا الاختلاف على الحياة الفكرية في الاندلس، ولعل ابرز وجوه الاختلاف القائم, نلمسه بوضوح عند المرابطين الذين تبنّوا اتجاهاً سلفياً متشدداً منذ بداية اعلان دعوتهم, إذ كانوا يؤمنون بضرورة نشر الدعوة بالسيف متعكزين في ذلك على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحاربة البدع[4],ولذلك واجهوا الدعوة

الموحدية واتهموا الموحدين بأنهم خوارج منشقين على طاعة الامام وانهم قصدوا إحداث فتنة في البلاد[5].

لهذه الأسباب, بدت دولتهم ذات طبيعة بدوية خشنة لا تحب الميل الى التمدّن, وكانت روح التزمّت والتعصّب تطغي عليها, وسارعت الى تقييد حرية الفكر وضيقت الخناق على المفكرين لاسيما المشتغلين بعلم الكلام الفلاسفة وطاردت في كل مكان وأقدمت على إحراقها بدعوى انها من البدع والضلالات, ويظهر هذا واضحاً في عام (503هـ/1109م), عندما أصدر الأمير المرابطي علي ين يوسف بن تاشفين, أمراً بحرق كتاب (إحياء علوم الدين) لأبي حامد محمد بن محمد الغزّالي (ت 505هـ/1111م) في كافة مدن المغرب والاندلس وذلك لما تحمله- حسب ادعائهم- من وعاظ السلاطين بأصدار فتوى لا تجيز قراءة هذا الكتاب بحال من الأحوال, كما أصدر علي بن يوسف أمراً يمنع دخول جميع كتب الغزالي الى المغرب والاندلس[6].

ولم يكن مظهر التزمت هذا وحده, بل كان هناك تزمت من نوع أخر وهو التعصب للمذهب المالكي المنسوب الى الامام مالك بن أنس (ت179هـ/795م), فقد جعله علي بن يوسف بن تاشفين المذهب الرسمي للدولة المرابطين, واصدر مرسوماً يتعقّب فيه كل مذهب آخر غير هذا المذهب, ولذلك يتميز عهد المرابيطين بسيطرة الفقهاء المالكية على شؤون الدولة, لأن إصدار المرسوم كان بناء على طلبهم, وعن ذلك يقول المراكشي: "واشتد إيقاره – أي علي بن يوسف- لأهل الفقه والدين, وكان لا يقطع أمراً في جميع مملكته دون شاورة الفقهاء"[7]. ومن المعروف ان اقدام يوسف بن تاشفين المؤسس الاول للدولة المربطين, على خلع ملوك الطوائف عندما دخل الاندلس كان بناء على فتوى صدرت من الفقهاء ايضاً. ويظهر انه يرتفع صوت قوى يعارض هذا التحجّر في التفكير والمعتقدات أو يعمل على وضع حدّ للتضييق على حرية المذاهب حتى ظهر المهدي بن تومرت بدعوته الموحدية[8].

وعلى الرغم من هذا المشهد القائم الى حدٍّ ما للحياة الفكرية في الاندلس الا ان هذه الحياة بدأت تأخذ بالازدهار في الاندلس ونهض بجزء مهم منها علماء من أصول مغربية وذلك بعد أن أخذ المرابطون بنصيب من الحضارة فهناك اسماء لامعة منهم في الاندلس في هذا العصر[9], سنأتي على ذكر اهمها في مكانهم من البحث ومن اهم العلوم التي ازدهرت

على يد العلماء المغاربة في هذا العهد, كان علوم الفقه, والحديث, والتفسير والقراءات, والتاريخ, والجغرافي, والأدب وغيرها من العلوم الخرى[10].

ويعتقد الدكتور عبد الله كنون[11] أن ما قيل عن مجافاة المرابطين للأدب والشعر وعدم اهتمامهم بهما, غير صحيح وأن هذا الاتهام جاء من خصومهم لاسيما المستشرقين, ذلك ان المرابطين رعوا الأدب وأهله في الاندلس, وكانت عنايتهم لم فائقة الحد.

أما الموحدون, فان زعيمهم المهدي بن تومرت, كان شديد التعصب لمبدئه في التوحيد الذي اتخذه شعاراً لمذهبه الديني والسياسي معاً[12], وقد استخدمه سلاحاً ضد مخالفيه لاسيما المرابطين الذين وصفهم بالمجسّمين[13]. الا أن الفقهاء, لم يبلغوا نفس المستوى من النفوذ الذي كانوا يتمتعون به في الدولة المرابطية, لأن الموحدين حاربوا تسلط الفقهاء وجمهودهم العقلي, ولهذا السبب عندما جاء الخليفة عبد المؤمن بن علي الى الحكم, أمر باحراق كتب المذهب المالكي والاقتصار على الأحاديث النبوية[14], وبجانب هذا الاجراء اظهر المنصور الموحدي تعظيماً للمذهب الظاهري المنسوب الى مؤسسه داود بن علي بن خلف الاصفهاني (ت270هـ/ 883م) وهذا أول من أدخل (الظاهرية) في الاندلس التي تأخذ الأمور والاخبار على ظواهرها دون اللجوء الى التأويل, ويبدو انه اتخذه –أي المنصور الموحدي– كبديل للمذهب المالكي, كما يشر الى ذلك ابن الأثير[15].

الا ان ما يميز الحياة الفكرية في هذا العصر, هو أن الموحدين اعتمدوا سياسة إطلاق حرية البحث والتفكير خلافاً لما كان عليه المرابطين ولذلك كانت هذه الحياة في ظل الموحدين الذي استطال عصرهم زهاء قرن ونصف من الومان, حافلة بالازدهار والنمو والتطور, وشارك فيها مشاركة فاعلة علماء المغرب ولاسيما اولئك الذين مارسوا مهنة التدريس في الاندلس, وكان لهم أثر فكري واضح في عدد من مدن ومراكز الاندلس[16].

وإذا كانت الاندلس تشكل في عهد الموحدين جزءاً مهماً من امبراطوريتهم الواسعة, فقد كان علماءها وأدباؤها يحظون برعاية خاصة لدى الموحدين, وكانت العلاقات الثقافية والفكرية أوثق ما تكون في هذا العصر بين المغرب والاندلس, فكثير من الشخصيات المغاربة المثقفة خصوصاً الأدباء, نراهم يقصدون الاندلس فيساجلون أدباءها[17], وسنأتي على ذكر ابرزهم فيما بعد.

وفضلاً عن الأدب, فان اهتمام الموحدين بشؤون الثقافة والفكر, قد مكّن من ظهور شخصيات مغربية كثيرة في الاندلس, لمعت في سماء الطب والفلك والتأريخ والجغرافيا الى جانب علوم اللغة والعلوم الدينية المحضة, وما من شك في أن الموحدين حاولوا بكل ما لديهم من وسائل تشجيع الحياة الفكرية ورعاية العلماء والأدباء, أن يتفوقوا على سابقيهم من المرابطين, وقد نجحوا في ذلك الى حد كبير[18].

لقد تطورت الحياة الفكرية أيام الموحدين سواء في المغرب أو الاندلس, تطوراً ملموساً وواسعاً, إذ شمل مختلف فروع المعرفة, لاسيما الدينية منها بعد إطلاقهم لدعوة الاجتهاد وعدم الاقتصار على المذهب واحد بعينه في الفقه الاسلامي[19], وهذا يعني انهم لم يقتصروا على المذهب الظاهري الذي أشيع عنهم بأنهم كانوا عليه, إذ لم ينقل أحداً من مؤرخي الموحدين ذلك[20].

2- أثر المغاربة الفكري على بلاد الاندلس خلال عصري المرابطة والموحدين

لقد كان للمغاربة من علماء وأدباء وغيرهم, اثر فكري واضح في بلاد الاندلس خلال عصري المرابطين والموحدين, وقد تجلّى هذا الأثر في اكثر من مجال معرفي وشمل عدداً واسعاً من المدن والمناطق والمراكز في هذه البلاد.

ويمكن تلمّس ذلك بسهولة عند مراجعة كتب الطبقات والتراجم لاسيما الاندلسية منها التي أرّخت للحياة العلمية والفكرية لأولئك العلماء والأدباء وغيرهم والتي ذكرت اهولهم المغربية التي تنتمي الى عدد واسع من المدن والمناطق المختلفة في بلاد المغرب[21].

ولا شك ان الصلة الوثيقة التي كانت قائمة بين المغرب والاندلس منذ ما قبل عصري المرابطين والموحدين, واستمرار هذه الصلة بعد أن أصبح الاندلس اقليماً لمغرب الاقصى في هذين العصرين, كانت لها أبلغ الأثر في الانفتاح الفكري الحاصل بين الجانبين والذي كان للمغاربة من خلاله, دور مهم في تنمية الحياة الفكرية في مدن ومناطق الاندلس في مختلف مجالات العلم والمعرفة[22].

ومن المهم الاشارة الى أن هؤلاء المغاربة الذين دخلوا الاندلس في أو قامت مختلفة كانت لمعظمهم نتاجات ومؤلفات مهمة في مجالات العلوم المتنوعة, ولا شك ان اهل

الاندلس– سواء كانوا طلبة كهؤلاء أو من محي الثقافة والفكر– قد تداولوا تلك المؤلفات بالقراءة او الدرس والتحقيق.

ولكي نتبين اثر المغاربة الفكري هذا, على بلاد الاندلس خلال العصرين المذكورين, سنركز على ذكر أهم العلماء والأدباء وأهل الاختصاصات الاخرى من المغاربة, وعلى النحو التالي:

اولاً: الحركة الفكرية في العصر المرابطي.

1– علم الحديث

اشتهر في هذا العلم من المغاربة في بلاد الاندلس, عدد من العلماء, ومنهم:

أ- أبو القاسم عبد العزيز بن عبد الوهاب بن ابي غالب القروي (ت495هـ/ 1101م), من أهل القيروان في المغرب, دخل الاندلس وأقام في غرناطة لتدريس الحديث وروايته, وكان شيخاً جليلاً, وله روايات عالية في الحديث[23], ويقول ابن بشكوال أن جماعة من شيوخه– أي شيوخ ابن بشكوال– حدّثوا عن أبي القاسم, وعن مكانته العلمية في الحديث يذكر ابن بشكوال[24] أنه كُتب إليه: "إنه قدم عليكم رجل صالح عنده روايات, فخذ عنه ولا يفوتنّك".

ب-أبو عبد القادر بن محمد الصدفي القدري المعروف بابي الحنّاط (ت507هـ/ 1032م), وأصله من القيروان, دخل الاندلس ونزل المرية, وكان رجلاً فاضلاً زاهداً مهتماً بالعلم ورواية الحديث, وسمع منه الحديث جماعة من أهل الاندلس, توفي في المرية في السنة المذكورة[25].

ج–عبد المنعم بن عبد الله بن علّوش المخزومي الطنجي (ت524هـ/1129م) من أهل طنجة في المغرب, كان محدثاً مشهوراً, وتقلّد منصب القضاء بغير موضع في الاندلس, وعرف بالفضل والعدل في احكامه, وتوفي بالمرية في السنة المذكورة[26].

د– أبو الفضل عياض بن موسى بن عباس عياض اليحصبي (ت544هـ/ 1149م) المعروف بالقاضي عياض, ولد سنة (476هـ/ 1083م), وهو من أهل سبتة في المغرب, اهتم بجمع الحديث وجمع منه كثيراً, وكان من اهل التفنّن في العلم والذكاء

واليقظة والفهم, وتقلد منصب القضاء ببلدة وحُمدت سيرته فيها, ثم انتقل إلى قضاء غرناطة في الاندلس ولكنه لم يطل مكوثه فيها, فارتحل إلى قرطبة وتتلمذ على يديه كثيرون وذلك سنة (531هـ/ 1136م), وتوفي بمراكش في السنة المذكورة, وله آثار مشهورة في الحديث والفقه والتاريخ ومنها: (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) و(ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة مذهب الامام مالك) و(مشارق الانوار) و(شرح صحيح مسلم) وغيرهما[27], وقد امتد عمره لأربع سنوات من عصر الموحدين, كما هو واضح من سنة وفاته, ولكن نبوغه وظهوره كان في هذا العصر[28].

2- علم الفقه

اشتهر في هذا العلم من المغاربة في بلاد الاندلس, عدد كم من العلماء, ومنهم:

أ- أبو محمد عبد الله بن علي ويقال: يعلى بن محمد بن عبيد المعافري (ت486هـ/1093م) من اهل سبته, وكان من أهل الفقه مقدماً في ذلك بالأندلس, وكتب للقضاة بسبتة, وهو خال القاضي عياض[29].

ب-أبو محمد عبد اللهبن سعيد الوجودي (ت قبل سنة 510هـ/1107م), من أهل وجدة من أعمال تلمسان, تولّى قضاء بلنسية لأول فتها في الدولة المتونية واسترجاعها من سيطرة النصارى الاسبان في سنة (495هـ/1101م), وعلى يديه وتحت نظره تم بناء المحراب بالمسجد الجامع منها في سنة (498هـ/1104م) وفي جانبه كان اسمه مخطوطاً إلى أن احتلها النصار الاسبان ثانية سنة (636هـ/1238م), وكان من الفقهاء الأجلاء الحافظين لمسائل الرأي القائمين عليها, وكان يناظر عليه وجمتمع في ذلك إليه, توفي ببلنسية في السنة المذكورة[30].

ج-ابو القاسم, عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم الكتامي (ت بعد سنة 510هـ/1107م) ويعرف بابن العجوز, وهو من أهل سبتة, تولى قضاء الجزيرة الخضراء ثم سلا, ويقول عنه ابن بشكوال أنه فقيه ابن فقيه, وكان يميل إلى الحجّة والنظر, وتوفي في فاس في السنة المذكورة[31].

د- ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر اللواتي (ت513هـ/1119م) يعرف بابن الفاسي, وهو من أهل سبتة, كان من أهل العلم والفضل والزهد والتقشف, وكان مقدماً في علم الشروط ولأحكام الفقهية, كما كان مشاركاً في علم الأصول والأدب[32].

ز-أبو محمد عبد الله بن خليفة بن أبي عرجون (ت534هـ/1139م), من من أهل تلمسان, وكان فقيهاً حافظاً للفقه تحققاً له, وقد نهض بتدريسه في الاندلس, وتقلّد منصب القضاء في المغرب والاندلس, وتوفي ببلدة تلمسان في السنة المذكورة[33].

3- علم القراءات

اشتهر في هذا العلم, عدد من علماء المغرب في الاندلس, ومنهم:

أ- ابو القاسم عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن عباس الجذامي (ت518هـ/1124م) من أهل سبتة, المقرئ, كان من أهل القراءات لفظاً وخطاً وتجويداً وإيراداً, وتصدر في الاندلس لُقراء والإسماع, توفي ببلده في السنة المذكورة[34].

ب-ابو الحسن علي بن عبد الله بن داود بن الحسن اللمائي (ت537هـ/1142م) أصله من القيروان ونزل المرية فغي الاندلس, كان مقرئاً متفنناً في علم القراءاتو له مؤلفات منها (زهر الحدائق) , وتوفي بالمرية في السنة المذكورة[35].

4- اللغة والأدب والشعر

اشتهر في هذه المجالات, عدد من علماء وأدباء وشعراء المغرب في الاندلس, منهم:

أ- ابو الطيب عبد المنعم بن مَنَّ الله بن أبي بحر الهواري القيرواني (ت493هـ/ 1099م), من أهل القيروان في تونس, كما هو واضح- اشتهر بكونه اديباً ولغوياً وشاعراً في الاندلس[36].

ب-أبو الفضل جعفر بن محمد بن أبي سعيد بن شرف الجزامي القيرواني (ت534هـ/1139م), خرج من مدينته القيروان عن اشتداد فتنة العرب عليها الى

الاندلس, فأصبح فيها من جُلّة الأدباء وأهل اللغة ومن كبار الشعراء حتى أنه أصبح شاعر زمانه, وطال عمره واخذ الناس منه في الأندلس, وله مؤلفات في الأمثال والأخبار وآداب العربية والاشعار[37].

5- علم الجغرافية

لقد نهضت العلوم الجغرافية في عصر المرابطين, نهضة عظيمة لاسيما على عهد علي بن يوسف بن تاشفين, وبرز عالم أصيل من المغرب إلى جانب علماء الاندلس الجغرافيين, احتل هذا العالم وكانه كبير في عموم تاريخ الفكر الجغرافي العربي, وهو:

أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله المشهور بالشريف الإدريسي (ت562هـ/ 1166م), ولد هذا الجغرافي الكبير في سبتة ببلاد المغرب سنة (494هـ/1100م) ثم وضع كتابه المشهور(نزهة المشتاق في اختراف الافاق) إثر سقوط المرابطين الذين قضى اكثر من ثلثي حياته تقريباً معاصراً لهم, وهو من السلالة الإدريسية المعروفة التي حكمت المغرب[38], وبعدٌ بحق أشهر جغرافي القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي على الإطلاق[39].

ولا نعرف شيئاُ كثيراً عن نشأته الاولى سوى أنه تلقّى علومه الاولية في مدينة قرطبة ثم بدأ رحلاته العلمية وهو ما يزال يافعاً لم يتجاوز عمره السادس عشر, فجاب الاندلس وعرف جغرافيتها مع المغرب معرفة دقيقة شاملة, ثم زار مناطق أخرى ربما لم تكن مألوفة في ذلك العصر, فارتحل إلى انجلترا وآسيا الصغرى وسواحل فرنسا, وصقيلية التي استقر بها, وكان بها يومئذ روجر الثاني ملكها الذي كان معجباً بعلوم العرب وحضارتهم, فدعاه إلى أن يؤلف كتاباً في الجغرافيا, فوضع له (نزهة المشتاق) الذي مكفه (15) سنة من البحث والتأليف, كما عمل على صنع كرة أرضية من الفضة, ووضع خريطة حائطية للعالم[40].

وتجدر الاشارة إلى انم لهذا الجغرافي العظيم الذي ظلت كتبه وخرائطه معتمدة في الدراسات الجغرافية في الجامعات الاوربية لفترة طويلة من الزمن, كتابان آخران هما: (روضة الأنس ونزهة النفس) و(أنس المهج وروض الفرج) لكن الكتاب الأول (روضة الأنس) مفقود[41].

ولعلّ من اهم ما يتميز به الإدريسي من بقية العلماء الجغرافيين الذين سبقوه, هو اتباعه الطريقة العلمية في إنجاز أعماله, فقد اعتد على المصنفات الجغرافية والتاريخية لذلك العصر, إذ ذكر في مقدمة كتابه (نزهة المشتاق) انه اعتمد على اثني عشر كتاباً جغرافياً وهي تمثل المصادر الأساسية التي بعدّها الباحثون قبل الشروع في البحث في عصرنا الحاضر[42].

ثانياً: في عصر الموحدين

1- علم القراءات

اشتهر في هذا العلم, عدد من علماء المغرب في الاندلس, منهم:

أحمد بن محمد بن عبد الرحمن اليافعي (ت575هـ/ 1179م) المقرئ, من أهل سبتة, ويعرف بأبن المعذور, ولد حوالي سنة (500هـ/1106م), دخل الأندلس وتجوّل فيها وبلغ بلنسية, واشتهر بعلم القراءات الذي أخذه من عدد من أهل الاندلس[43].

2-الحديث

اشتهر في هذا العلم, عدد كبير من علماء المغرب سواء كان على مستوى الرواية أو مستوى الدراية, ومنهم:

أ- ابو اسحاق ابراهيم بن محمد اللخمي السبتي (ت570هـ/1174م) ويعرف بابن المتقن, ومن أهل سبتة, كان محدثاً وروى عنه بالأندلس كثيرون من أهلها[44].

ب-أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن عطية الربعي التونسي (ت598هـ/ 1201م), من أهل تونس, دخل الاندلس وسكن غرناطة, وكان من أهل الحديث وروى عنه عدد من العلماء في الاندلس[45].

ج-أبو عبد الله محمد بن حسن بن أحمد التجيبي (ت620هـ/1223م), من أهل سبتة, كان محدثاً وحدّث عنه بعض أهل أشبيلية في الاندلس بعد أن استوطنها[46].

3- الفقه

اشتهر بالاشتغال في هذا العلم, عدد من علماء المغرب في الاندلس, ومنهم:

أ- أبو عبد الله محمد بن علي بن جعفر القيسي (ت567هـ/1171م) ويُعرف بابن الرمّامة, من اهل المغرب وكان يسكن فاس فيها قبل دخوله الاندلس التي أصبح فيها فقيهاً لامعاً, له عدد من المؤلفات في مجال اختصاصه منها: (تسهيل المطلب في تحصيل المذهب) و(التبين في شرح التلقين) وغيرهما[47].

ب-أبو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم بن يغمور الجابري (ت609هـ/1212م), من أهل فاس, كان فقيهاً مالكياً حافظاً للرأي, فقد في موقعه العقاب في السنة المذكورة[48].

التصوف

اشتهر بالزهد والتصوف, عدد من أهل المغرب في بلاد الاندلس, ومنهم:

1- ابو الصبر أيوب بن عبد الله بن أحمد الفهري (ت609هـ/1212م) من أهل سبتة, كان معروفاً في الأندلس بالزهد وسلوك طريق التصوف, اشترك في الجهاد ضد حركة الاستداد المسيحي, فقد في موقعه العقاب في السنة المذكورة[49].

2- ابو اسحاق ابراهيم بن جابر بن عمر بن عبد الرحمن المخزومي (ت641هـ/ 1243م) ويعرف بالقفّال من أهل مراكش, كان ميّالاً للتصوف, واشتهر بالوعظ وتذكير الناس بالموت والأخرة[50].

4- علم الرجال والفهارس

اشتهر الاشتغال في هذا المجال, عدد من علماء المغرب في الاندلس, ومنهم:

ابو عبد الله محمد بن قاسم بنعبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي (ت604هـ/ 1207م) من أهل فاس, رحل الى المشرق أولاً في طلب العلم, ثم دخل الاندلس, له كتاب (النجوم المشرقة في ذكر مَنْ أخذ عنه من كل ثبتِ وثقة)[51].

5- علم الكلام

اشتهر بهذا العلم, عدد من علماء المغرب الذين دخلوا الاندلس, منهم:

ابو عبد اله محمد بن عبد الكريم الفندلاوي (ت596هـ/1199م), يعرف بان الكتّاني, من أهل فاس, وكان علاّمة في علم الكلام, دخل الاندلس وفيها أصبح- كما يذكر ابن الابار- إماماً في علم الكلام, مدرّساً له مع اصول الفقه, حياته كلها[52].

6- التاريخ

اشتهر في هذا المجال عدد من المؤرخين المغاربة الذين دخلوا الاندلس, وكان لهم اثر فكري فيها, ومنهم:

أ- ابو عبد الله محمد بن علي بن حماد وبن عيسى الصنهاجي (ت628هـ/ 1230م) من اهل المغرب, كان مؤرخاً أديباً وفقيهاً, له في التاريخ كتاب (البند المحتاجة في اخبار صنهاجة)[53].

ب-محي الدين عبد الواحد بن علي المراكشي (ت647هـ/1250م), ولد بمدينة مراكش في مستهل خلافة أبي يوسف المنصور الوحدي, ترك مدينة حينما كان في سن التاسعة, استقر بمدينة فاس, وحينما بلغ الثانية والعشرين, انتقل الى الاندلس, وفيها التقى العديد من الشخصيات العلمية والسياسية, كان في طليعتهم أبو اسحاق بن أبي يوسف الموحدي وكان يومئذ حتاكماً لمدينة أشبيلية, ثم انتقل بعدها الى قرطبة ثم سافر الى مصر بعد ذلك وفيها ألف كتابه المشهور (المعجب في تلخيص اخبتار المغرب) جمع فيه بين تاريخ الاندلس والمغرب السياسي والأدبي[54]. واشتهر المراكشي بأنه مؤرخ الدولة الموحدية, ولذلك فان هذا الكتاب, يعدُّ من أوثق المصادر في تاريخ هذا العصر[55].

7- الأدب والشعر

اشتهر هذا العصر بعدد حافل من الادباء والشعراء المغاربة الذين كان لهم أثر فكري على بلاد الاندلس, ومنهم:

أ- ابو عبد الله محمد بن حسين بن عبد الله بن حبوّش (ت570هـ/113م), من أهل فاس, كان اديباً وشاعراً يتقدم في ذلك أهل زمانه, يذكر عنه المراكشي ان له قصائد كثيرة[56], وله دايوان امتدح فيه الأُمراء في الاندلس[57].

ب-ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الكريم الانصاري (ت585هـ/1189م) من أهل طنجة, دجخل الاندلسي فلمع بها أديباً شاعراً[58].

ج-ابو العباس احمد بن عبد السلام الجرادي التادلي المراكشي (ت609هـ/ 1212م), كان عالماً بالآداب حافظاً بليغ اللسان شاعراً, له كتاب في الأدب سمّاه (صفوة الأدب ونخبة كلام العرب) أخذه الناس عنه في الاندلس, وتوفي بأشبيلية عنم سن عالية في السنة المذكورة[59].

د- ابو العباس أحمد بن هلال العروضي (ت640هـ/1242م) من اهل الجزائر في المغرب, اهتم بالآداب والعربية وعلم العروض, مزاول مهنة التداريس في مرسية وسكنها مدة طويلة[60].

8- الحساب والجبر والفلك

اشتهر هذا العصر بعدد مهم من علماء المغرب الذين اشتغلوا بالحساب والجبر والفلك, وكان لهم اثر فكري على بلاد الاندلس, ومنهم:

أ- ابو محمد عبد الله بن محمد بن حجاج (ت601هـ/1204م), من أهل فاس ويعرف بابن الياسمين, له دراية بعلم الحساب والعدد, وله أرجوزة في الجبر قُرئت عليه وسُمعت منه بأشبيلية سنة (587هـ/1191م), توفي ذبيحاً بمراكش في السنة المذكورة, وقيل في آخر سنة (600هـ/1203م)[61].

ب-ابو علي الحسن بن علي المراكشي (كان حياً في النصف الاول من المائة السابقة), وهو العالم الرياضي الشهير مؤلف لكتاب (المبادي والغايات في علم الميقات) وهو اعظم ما صّنف في هذا الفن رتبه على اربعة فنون كان الاول في علم الحساب وهو يشتمل على سبعة وثمانين فصلاً, اما البقية فكانت عن علم الفلك والالات[62].

9- الطب والصيدلة

اشتهر هذا العصر بعدد حافل من الاصباء والصيادلة الذين ترجع أصولهم إلى المغرب, منهم:

أ- أبو بكر يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن بقي السلوي (ت563هـ/ 1167م) من أهل سلا المغربية, كان طبيباً مشهوراً في مرسية التي أقام فيها أعواماً كثيرة, وكان الأمير بمرسية محمد بن سعد قد جعل له مرتباً ثم قطع عنه فاشتغل بالطب وبرع فيه, وكان يعتاش عليه بالدرجة الأساسية, توفي بمرسية في السنة المذكورة وكالنت جنازته مشهورة[60].

ب-الشريف الأدريسي الجغرافي المعروف الذي مرّ ذكره, كتب في علم الصيدلة, وله كتاب في الأقرباذين أي الصيدلة اسمه (الأدوية المفردة) انتفع منه كثيراً ابن البيطار[60].

الخاتمة

في ضوء ما تقدّم من معلومات وردت في البحث, يمكن التوصل الى النتائج التالية:

1- كانت الحياة الفكرية في بلاد الاندلس خلال عصري المرابطين والموحدين, مزدهرة ونامية لأنها كانت امتداداً لعصر الطوائف التي بلغت فيه هذه الحياة, أوج ازدهارها.

2- كانت الحياة الفكرية في بلاد الاندلس في عصر المرابطين سيما في المرحل الاولى من ركود نسبي الى حدّ ما بسبب سياسية التزمة والتضيق على الحرية الفكرية, ولكن بعد أن المرابطين نصيباً من الحضارة, عادت هذه الحياة الى النمو والازدهار.

3- انتعشت الحياة الفكرية في بلاد الاندلس فيعصر المرابطين انتعاشاً كبيراً وواسعاً منذ بداية حكمهموحتى نهايته لانها اعتمدت سياسية الانفتاح وإطلاق حرية الفكر والاجتهاد.

4- كان لعلماء وادباء المغرب, اثر فكري واضح في الاندلس تمثل بالعدد الكبير منهم هناك الذين مارسوا التدريس أو اشتغلوا في ميادين ثقافية اخرى, كما تمثل بالعديد من نتاجاتهم الفكرية والثقافية التي شملت مختلف العلوم والفنون في الاندلس.

الهوامش

(1) حسن, حسن علي, الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس عصر المرابطين والموحدين, ط1, مكتبة الخانجي (القاهرة, 1401هـ/ 1980م), ص3.

(2) المراكشي, عبد الواحد بن علي (ت647هـ/1249م), المعجب في تلخيص اخبار المغرب, تح: خليل عمران المنصور, ط2, دار الكتب العلمية, (بيروت, 1426هـ/2005م), ص142؛ حركات, ابراهيم, المغرب عبر التاريخ, دار الرشاد الحديث (الدار البيضاء, 1421هـ/2000م), ص226.

(3) الحجي, عبد الرحمن علي, التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة, ط2, دار القلم (دمشق, 1429هـ/2008م), ص472 وما بعدها؛ حسن, الحضارة الاسلامية, ص450.

(4) حسن, الحضارة الاسلامية, ص450.

(5) البيذق, ابو بكر الصنهاجي (ت القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي), اخبار المهد بن تومرت وابتداء دولة الموحدين, تح: ليفي بروفنسال (باريس, 1347هـ/1928م), ص77.

(6) ابن عذاري, احمد بن محمد المراكشي (ت بعد 712هـ/1312م), البيان المغربي في اخبار الاندلس والمغرب, , تح: عيد الله محمد علي, ط1, دار اكتب العلمية (بيروت, 1430هـ/2009م), ج4, ص52؛ الهرفي, سلامة محمد سلمان, دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين, دار الندوة الجديدة (بيروت, د.ت), ص324.

(7) العجب, ص121.

(8) حركات, المغرب عبر التأريخ, ج1, 169.

(9) المرجع نفسه, ج1, ص226.

(10) حركات, المغرب عبر التأريخ, ج1, ص226-231.

(11) كنون عبد الله, النبوغ المغربي في الادب العربي, ط2, دار المتاب اللبناني (بيروت, 1381هـ/1960م), ج1, ص87.

(12) عنان, محمد عبد الله, عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس, ط2, مكتبة الخانجي (القاهرة, 1411هـ/1990م), ج2, 205.

(13) حسن, الحضارة الاسلامية, ص454.

(14) المرجع نفسه, ص466.

(15) ابن الاثير, ابو الحسن علي بن محمد الشيباني (ت630هـ/1232م), الكامل في التأريخ, نح: خليل مأمون شيحا, ط2, دار المعرفة (بيروت, 1423هـ/2002م), ج9, ص515.

(16) عنان, عصر المرابطين والموحدين, ص647؛ دات, مونتغمري, في تأريخ اسبانيا الاسلامية, ترجمة: محمد رضا المصري, ط2, شركة المطبوعات للتوزيع والنشر (بيروت, 1419هـ/1998م), ص112.

(17) حركات, المغرب عبر التأريخ, ج1, ص303.

(18) حركات, المغرب عبر التأريخ, ج1, ص303.

(19) كنون, النبوغ المغربي, ج1, ص123.

(20) المرجع نفسه, ج1, ص124

(21) طه, جمال أحمد, مدينة فاس في عصري المرابطة والموحدين دراسة سياسية وحضارية, دار الوفاء (الاسكندرية, 1424هـ/2003م).

(22) حسن, الحضارة الاسلامية, ص446.

(23) ابن بشكوال, ابو القاسم خلف بن عبد الملك (ت 578هـ/ 1183م), كتاب الصلة, تح: صلاح الدين الهوّاري, ط1, المكتبة العصرية (بيروت, 2003م), ج2, ص303.

(24) ابن بشكوال, الصلة, ج2, ص303.

(25) المصدر نفسه, ج2, ص315.

(26) المصدر نفسه, ج2, ص316.

(27) الضبي, ابو جعفر أحمد بن يحيى (ت 599هـ/ 1203م), بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس, تح: صلاح الدين الهواري, ط1, المكتبة العصرية (بيروت, 1425هـ/2005م), ص406؛ ابن خلكان, ابو العباس احمد بن محمد (ت681هـ/ 1282م), وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان, تح: احسان عباس, دار الثقافة (بيروت, د.ت), ج3, ص383-385.

(28) كنون, النبوغ المغربي, ج1, ص76.

(29) ابن بشكوال, الصلة, ج1, ص249.

(30) ابن الأبار, محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي (ت658هـ/ 1259م), التكملة لكتاب الصلة, تح: عبدالسلام الهرّاس, دار الفكر (بيروت, 1416هـ/1995م), ج2, ص30-33.

(31) ابن بشكوال, الصلة, ج1, ص289.

(32) المصدر نفسه, ج1, ص97.

(33) ابن بشكوال, الصلة, ج1, ص249.

(34) ابن الأبار, التكملة لكتاب الصلة, ج3, ص51-52.

(35) المصدر نفسه, ج3, ص243.

(36) ابن بشكوال, الصلة, ج2, ص315.

(37) المصدر نفسه, ج2, ص321.

(38) حركات, المغرب عبر التاريخ, جد1, ص228.

(39) الهرفي, دولة المرابطين, ص349.

(40) حركات, المغرب عبر التاريخ, جد1, ص228.

(41) حركات, المغرب عبر التاريخ, جد1, ص.

(42) الادريسي, ابو عبد الله محمد بن محمد الحسيني (ت562هـ/ 1166م), نزهة المشتاق في اختراق الأفاق, ط1, عالم الكتب (بيروت, 1410هـ/ 1989م), ج1, ص5-6.

(43) ابن الأبار, التكملة لكتاب الصلة, ج1, ص112.

(44) ابن الأبار, التكملة لكتاب الصلة, ج1, ص149.

(45) المصدر نفسه, ج1, ص112.

(46) المصدر نفسه, ج2, ص164.

(47) ابن الأبار, التكملة لكتاب الصلة, ج2, ص158.

(48) المصدر نفسه, ج1, ص162.

(49) المصدر نفسه, ج1, ص168؛ السملالي, العباس بن ابراهيم المراكشي, الاعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الإعلام, تح: عبد الوهاب بن منصور, ط3, المكتبة الملكية (الرباط, 1414هـ/1993م), ج3, ص17.

(50) ابن الأبار, التكملة لكتاب الصلة, ج1, ص150؛ السملالي, الإعلام, ج1, 173.

(51) ابن الأبار, التكملة لكتاب الصلة, ج2, ص161-162.

(52) المصدر نفسه, ج2, ص164.

(53) ابن الأبار, التكملة لكتاب الصلة, ج2, ص166-167؛ السملالي, الإعلام, ج4, 187.

(54) كنون, النبوغ المغربي, ج1, ص154-155.

(55) المرجع نفسه, ج1, ص154.

(56) المعجب, ص149.

(57) ابن الأبار, التكملة لكتاب الصلة, ج2, ص159؛ السملالي, الإعلام, ج4, 110.

(58) ابن الأبار, التكملة لكتاب الصلة, ج2, ص160.

(59) المصدر نفسه, ج1,ص112-113؛ابن خلكان, وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان,ج2, ص494.

(60) ابن الأبار, التكملة لكتاب الصلة, ج1, ص113.

(61) ابن الأبار, التكملة لكتاب الصلة, ج2, ص307.

(62) كنون, النبوغ المغربي, ج1, ص157.

(63) الضبي, بغية الملتمس, ص463-464.

(64) كنون, النبوغ المغربي, ج1, ص156.

المصادر والمراجع

1- ابن الأبار, محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي (ت658هـ/ 1259م)، التكملة لكتاب الصلة, تح: عبدالسلام الهرّاس, دار الفكر (بيروت, 1416هـ/ 1995م).

2- ابن الاثير, ابو الحسن علي بن محمد الشيباني (ت360هـ/ 1232م)، الكامل في التاريخ تح: خليل مأمون شيما, ط1, دار المعرفة (بيروت, 1421هـ/ 2000م).

3- ابن بشكوال, ابو القاسم خلف بن عبد الملك (ت578هـ/ 1183م)، الصلة, تح: صلاح الدين الهواري, ط1, المكتبة العصرية (بيروت, 1424هـ/ 2003م).

4- ابن خلكان, ابو العباس احمد بن محمد (ت681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان, تح: احسان عباس, دار الثقافة (بيروت, د.ت)،\

5- الادريسي, ابو عبد الله محمد بن محمد الحسيني (ت562هـ/ 1166م)، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق, ط1, عالم الكتب (بيروت, 1410هـ/ 1989م)،

6- البيذق, ابو بكر بن علي الصنهاجي (ت اواسط القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي)، أخبار المهدي بن بن تومرت وابتداء دولة الموحدين, تح: ليقي بروفنسال (باريس, 1348هـ/1928م).

7- الحجي, عبد الرحمن علي, التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة, ط2, دار القلم (دمشق, 1429هـ/2008م).

8- حركات, ابراهيم, المغرب عبر التاريخ, دار الرشاد الحديث (الدار البيضاء, 1421هـ/2000م).

9- حسن, حسن علي, الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس عصر المرابطين والموحدين, ط1, مكتبة الخانجي (القاهرة, 1401هـ/ 1980م).

10- دات, مونتغمري, في تأريخ اسبانيا الاسلامية, ترجمة: محمد رضا المصري, ط2, شركة المطبوعات للتوزيع والنشر (بيروت, 1419هـ/1998م), ص112.

11- السملالي, العباس بن ابراهيم المراكشي، الاعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الاعلام, تح: عبد الوهاب بن منصور, ط3, المكتبة الملكية (الرباط, 1414هـ/1993م)

12- الضبي, ابو جعفر أحمد بن يحيى (ت 599هـ/ 1203م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس, تح: صلاح الدين الهواري, ط1, المكتبة العصرية (بيروت, 1425هـ/2005م)، ابن عذاري, أحمد بن محمد المراكشي (ت بعد 712هـ/ 1312م)، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب, تح: عبد الله محمد علي, ط1, دار الكتب العلمية (بيروت, 1430هـ/2009م).

13- طه, جمال أحمد، مدينة فاس في عصري المرابطة والموحدين دراسة سياسية وحضارية, دار الوفاء (الاسكندرية, 1424هـ/2003م).

14- عنان, محمد عبد الله, عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس, ط2, مكتبة الخانجي (القاهرة, 1411هـ/1990م).

15- كنون عبد الله, النبوغ المغربي في الادب العربي, ط2, دار المتاب اللبناني (بيروت, 1381هـ/1960م).

16- المراكشي, عبد الواحد بن علي (ت 647هـ/1249م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب, تح: خليل عمران المنصور, ط2, دار الكتب العلمية (بيروت, 1425هـ/2005م).

17- الهرفي, سلامة محمد سلمان, دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين, دار الندوة الجديدة (بيروت, د.ت).